عظة الاب هادي محفوظ

رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

عيد القيامة

٥ نيسان ٢٠١٥

"المسيح قام ... حقا قام".

"المسيح قام ... حقا قام": هي عبارةٌ ترسم البسمةَ على المحيّا، لأنّ جذورها هي في قلبٍ فَرِحٍ علم بكلام الربّ القائل: "ولا ينزع أحدٌ فرحَكم منكم" (يو ١٦: ٢٢). هي هذه، أجمل أمنية نتمنّاها لبعضنا البعض، أي أن ينعكسَ إيمانُنا بالقيامةِ فرحًا في الحياة.

"المسيح قام ... حقًا قام": هي عبارة لن نملّ من ترادها، وإنّنا نريد أن نجدّد التعبير عن تعلّقنا بها، وأن نشعر بها أكثر فأكثر، يومًا بعد يوم، وسنةً بعد سنة. همّنا الأساسيّ هو الا ندعها تكون فقط كلمات تصدرها الشفاه بفعل المناسبة، بل أن نجعلها التعبير عن الفكر وعن القلب، في آنٍ معًا.

"المسيح قام ... حقّا قام": هي عبارة تضعنا أمام القبر الذي تمّ فتحه، فلا نقول، كما فعلت النسوة: "من يدحرج لنا الحجر؟".

فهنّ رأين مشهد آلام يسوع وموته، وبقين مع فكرة الظلام والحزن وشهدن على دحرجة الحجر على قبر يسوع، وكأنّ هناك، خلف الحجر، كلّ الآمال المحطّمة وكلّ الأحزان، فمن يزيل الحجرَ لاسترجاع ما وراءه. قصّة تلك النسوة التي رأت القبر وحجره الثقيل المدحرج عليه يوم الدفن، تتردّد عبر الأجيال، وقد نكون نحن مثلهنّ، خائفين يائسين، لا نرى الا الحجر.

فقد نطرح نحن السؤال عن كيفيّة الفرح، فيما نرى حجر الأحداث الثقيلة والمؤلمة والدامية تسدّ باب الهناء والراحة والسلام، فتتحطّم قلوبنا من كثرة الحزن، لأنّنا نشعر أنّ آمالنا هي خلف الحجر الثقيل المدحرج على الباب، وكأنّنا ضعفاء لا مُعين لنا.

نسمع في هذه الأيّام بحروب دامية واضهادات دنيئة وأعمال ارهابيّة مقزّزة، فنحزن الحزن الشديد ونضطرب. نخاف. نشعر أنّنا في عين الخطر والزوبعة. نسمع بمخطّطات بشعة وبدوار وضياع. ونعرف بابشع الأعمال الإرهابيّة مثل التي تحدث في البلدان المجاورة، ومثلما حدث البارحة في كينيا. هنا، معكم ومع قداسة البابا فرنسيس، أودّ أن أصلّي من أجل كلّ الشعوب المضطهدة وكلّ الذين يعانون الآلام وكلّ الذين هم ضحايا العنف والارهاب والحروب. فتغلقنا هذه المظالم خلف الحجر الذي تثبّته متينًا على مكان وجودنا. ولكنّ تثبيت الحجر على حياتنا، لا يأتي فقط من حروب واضطهادات، بل أيضا من أحداث تضربنا، مثل مرض عزيز علينا، أو مرض يصيبنا، أو حادث سيارة، أو حادث طائرة، أو ضائقة معنويّة أو ماديّة أو فشل حياتيّ في

مضمار معيّن. وتتعدد الأسباب، في حياة كلّ منّا، التي بامكانها أن تغلقنا في قبر الحزن، وتثبّت الحجر عليه. هذه النظرة إلى الحياة، هي التي لم تفهم معنى القيامة.

فلنعد، إذًا، إلى قراءة نص إنجيل القيامة. هو يضعنا في أجواء الحدث الذي تمّ منذ قرابة الالفي سنة. ولكنّنا نعلم أنّه حدث ليس كأيّ حدثٍ، لأنّه يتخطّى الماضي، ليأتي الينا، فهو يطال كلّ إنسانٍ، في كلّ زمانٍ وكلّ مكان. هو، إذًا، حدث يلمس حياة كلّ منّا، فحسبنا أن نسمح لذواتنا بعيشه. إنّه كفيل بتغيير حياتنا إلى حياة ملؤها الفرح الدائم.

لنتمعّن في قراءة ما اخبرنا عنه الإنجيليّون. فإنّ دحرجة الحجر عن القبر لم تكن من عمل بشريّ، بل هو الله دحرجه.

فنحن نكون من أهل القيامة حين نتيقّن أنّ الله هنا، وأنّنا، في خضمّ آلامنا، مهما بلغت من قساوة، نستطيع عيش القيامة.

نحن نكون من أهل القيامة حين نعي أنّ المظالم والأحداث الغريبة تضرب كلّ إنسان في كلّ زمان وكلّ مكان. فلم يسلم أحد، عبر التاريخ، من الحزن. وإنّ القلق يلبس، في كلّ زمان، وكلّ مجتمع، حلّة مختلفة، ولكنّه يطرق باب كلّ إنسان. فالهروب من الحزن يكون بعيش فرح القيامة، وليس بالانتقال من هنا إلى هناك، أو باللجوء إلى أناس لهم سلطان، أو إلى ارتكاب مظالم، أو إلى المادّة، وكأنّ عند أيّ منهم قدرة على دحرجة حجر الحزن عن حياتنا.

نكون من أناس القيامة إن نحن تيقنّا أنّ ليس للألم وللموت الكلمة الأخيرة بل للحياة وللقيامة. لأنّ الله هو السيّد وليس الظالمون أو الأحداث المؤلمة.

نكون من أناس القيامة، إن نحن انضممنا إلى عمل الله الذي يدحرج الحجر عن باب قبر الحزن عند الآخرين، فنفتّش عن كيفيّة زرع الخير والمحبّة والطيبة، أينما حللنا.

في كتاب أعمال الرسل، الذي يخبر عن بدايات الكنيسة، تشديد على الفرح الذي يرافق التلاميذ، أينما حلّوا، فيقول لنا هذا الكتاب: "وكان هناك فرح عظيم" (أع ٨: ٨). حتّى في خضمّ الاضطهادات التي كان المؤمنون يعانونها، يخبرنا كتاب اعمال الرسل أنّهم كانوا ممتلئين من الفرح (أع ١٣: ٥٢).

فهذه هي قصّة القيامة. هي قصّة الفرح الدائم، حتّى في خضمّ أشدّ الآلام هولاً. من الصحيح أنّنا بشرٌ معرّضون للخوف والحزن والاضطراب. نعم، هذا طبيعيّ. ولكن، ما هو غير طبيعيّ، هو أن نتسمّر في هذا الشعور والا نعرف كيف ندحرج الحجر عن حياتنا. هو يتدحرج بقدرة الله الذي ينتصر على الموت وعلى كلّ أنواعه، لأنّه حياة ولأنّه أزليّ ولأنّه المنتصر ولأنّه سيّد التاريخ، مهما تجبّر متجبّرون وتسلّطوا. لنتذكّر أنّ حياتنا إنّما هي قصيرة وهشّة ولكنّها مهمّة كثيرا لأنّها كريمة في عيني الله وهو يريدنا أن نسعد ونحيا ونفرح.

كلّ ذلك يجعلنا ندرك أنّنا بامكاننا دحرجة الحجر عن وجودنا، وأنّ العبارة التي تحوّلنا رسم البسمة على المحيّا، لأنّها تجد جذورها في قلبٍ فَرِحٍ يعكس الإيمان بالقيامة، إنّما هي عبارة: "المسيح قام ... حقا قام".